أننا في النهاية أمام جزء من مشكلة هامة في النقد الادبي الحديث وهي :

هل وظيفة الشاعر أن يمجد الواجب من حيث هو دين وخلق أم أن رسالته كشاعر تنحصر في استيحاء وجدانه وان خرج على مواضعات العرف وقواعد الدين ؟ هل وظيفة الشاعر جمالية أم انها اجتماعية ؟ (١)

يقرر الفيلسوف الالماني «عمانويل كانت» ـ ولنظراته الفلسفية الجمالية تأثير كبير في النقد الحديث ـ أن الحكم الجمالي غير الحكم العقلي والخلقي ، لان الحكم الجمالي صادر عن الذوق بينما الحكم الخلقي مرده الى الواجب .. ونتيجة لهذا فان الجمال المحض عنده ما كان مجردا عن أية غاية اجتماعية أو خلقية أو دينية ، وقد يختلط الجمال الفني بكل هذه الغايات ولكنه لا يكون جمالا محضا.

أحد تلامذته ـ بودلير ـ أكثر تسامحا في فهم هذه العلاقة بين الدين والخلق والعرف من ناحية والشعر من ناحية اخرى ـ فالشاعر في نظره يتحدث عن الفضيلة من حيث هي جمال كما يتحدث عن الشر من حيث هو نقص ينفر المرء منه .

وهنا تتضح نظرة من أحدث النظرات النقدية الحديثة في تقرير تلك العلاقة التي المحنا اليها ، فللشاعر أن يتناول حقائق الدين والعرف والاخلاق من حيث هي غايات جمالية لا من حيث انها تنفع المجتمع أو تتفق مع الدين .. له أن يتناولها من حيث أنها جميلة ينجذب اليها في اقتناع وجداني وفني.

وعلى سبيل المثال ، فللشاعر أن يمجد خصالا كالامانة والصدق والحلم .. الخ.. واشخاصا نبلاء كالانبياء والمصلحين ، ولكنه يتناول كل ذلك من زاوية جمالية بحتة .

قد يقال : وما المصدر الحقيقي لهذا الجمال ؟ أعني ما الذي يجعل خلالا كالامانة والصدق والحلم جميلة في نظر الشاعر ؟ وما الذي يضفي على أشخاص المصلحين والانبياء سمات الاعجاب التي تنفخ في روح الفن عند الشاعر ؟

ان المصدر الحقيقي لهذا الجمال يكمن فيما نتج عن هذه الخصال من نتائج طيبة وكدت من أركان المجتمع وثبتت من بنيانه .. ثم هو يكمن فيما أسداه هؤلاء الانبياء والمصلحون الى الانسانية من أياد بيضاء استطاعت بها ان تؤكد ذاتها وعقائدها ، أي أن المصدر اللاشعوري لهذا الجمال يعود في النهاية الى منبع اجتماعي أو ديني.. ولكن هذا المصدر بالرغم من حساسيته وقوته ـ يظل لا شعوريا بحيث يكون كل جهد الشاعر منصرفا الى استيحاء وجدانه وما انطبع عليه من مظاهر الجمال ، وليس عليه بعد ذلك أن يكون المصدر الحقيقي واللاشعوري لهذا الجمال دينيا أو اجتماعيا ، فمنذا الذي ينكر أن الشاعر نتيجة لمجموعة من الاحداث والمشاهد والمعتقدات أثرت فيه وطبعت ذاته بطابع معين تتجلى فيه بيئته وعصره بكل ما يزخر به من عوالم وأفكار .

دار العلوم ـ القاهرة

فتوح أحمد

(١) قدامة بن جعفر يعتقد بوجوب عزل الشعر عن الخلق والدين كما يؤمن بهذا كذلك الناقد العربي عبد العزيز الجرجاني.

قصيدتان

١ ـ اغنية لنفسي !

سكون المدينه
يسربل روحي الحزينه
وثلج الشتاء
نهر حليب
تجمد عبر المساء الغريب
برودته في دمائي
ذكرى قديمه
ليال عقيمه
تمر ببأسي
رؤى مطفآت
وفي صمت نفسي
منى ميتات
ارقرقها في الاسى كلمات
عن الموت عن غربتي في الحياة
عزاء لنفسي عبر المساء
وادفنها في انتصار البقاء .

٢ ـ واغنية لصديق قديم

لانا افترقنا
مساء . وكان المطر
يذرذر عبر رصيف القطار
ولم تبق الا ثواني
ويمضي النهار
وتمضي ، وابقى حليف الضجر
وحيدا أصيخ لصوت المطر
حزين الصدى في اخضرار الشجر .
صديقي ، لا شيء يبقى صديقي
حتى المدينة .
اراها تغيب بصمت عميق
وراء الضباب اراها طيوفا حزينه
وابصر ايامنا
عجائز يحلمن عبر جنينه
وابقى اعد انا والضجر
صدى عجلات القطار
تك . تك .
وصوت المطر .

جامعة كمبرج ـ انكلترا

احمد امين